مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 28 عدد: 4 (رت 78) السنة: 2024

الدرس اللغوي العربي في ضوء النظرية التوليدية التحويلية

The Arabic language lesson in the light of the transformational generative theory

آمنة جاهمي[1]
جامعة 8 ماي 1945 قالمة
djahmiaaa@gmail.com

تاريخ الوصول 2024/02/22 القبول 2024/05/26 النشر على الخط 2024/06/15
Received 22/02/2024 Accepted 26/05/2024 Published online 15/06/2024

ملخص:

يتناول هذا البحث قراءة في الأصول والأسس التي قامت عليها النظرية التوليدية التحويلية ومدى تجلياتها في النحو العربي القديم، حيث بّينتُ فيه أهم المقاربات اللغوية التحويلية بين الطرفين، وركزت على أهم النقاط المشتركة بينهما، في إشارة واضحة طبعا لعبقرية الفكر اللغوي العربي وأسبقيته في هذا المجال.

وقد توصل البحث إلى إثبات وجود للأسس التشومسكية في النحو العربي لاسيما في مؤلفات الجرجاني وسيبويه وابن خلدون. مع وجود اختلاف فقط على مستوى المصطلحات الموظفة.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات، النحو، التوليد، التحويل، التراث اللغوي.

Abstract:

This research deals with a reading in the origins and the basics of the theory of transformational generative grammar and its manifestations in ancient Arabic grammar, where it has been represented the main generative linguistic approaches in the two sides, and it focused on the main points between them, with a clear indication, of course, to the genius of the Arabic linguistic thought and its precedence in this domaine.

The research has proved the existence of Chomskian basics in the Arabic grammar, especially in the writings of Aljarjani, Sibaueih, and Ibn Khaldun, with differences just at the level of the terms used.

Keywords: Linguistics, grammar, generative, transformation, linguistic heritage.

[1] المؤلّف المرسل: **آمنة جاهمي** البريد الإلكتروني: **djahmiaaa@gmail.com**

1. مقدمة:

أحدثت النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي ضجة كبيرة على أسس و مبادئ المدرسة البنوية الأوروبية بزعامة فردينان دي سوسير، والمدرسة البنوية الأمريكية بزعامة بلومفيلد، لأن كلا منهما اعتنى بوصف اللغة من دون النظر فيما تجتمع عليه اللغات، فبقيت الدراسات اللسانية فيهما تعتمد على ما ضبطه بلومفيلد لدراسة اللغة، من خلال تحليلها إلى مكوناتها المباشرة، إلى أن تم نشر كتاب (البنى التركيبية) لتشومسكي سنة 1957م.[1]

وقد مثلت هذه النظرية إطارا منهجيا للعديد من الدارسين العرب الذين حاولوا إيجاد وشائج من الأبوة والقربى بين ما قرره تشومسكي في نظريته وبين ما ورد في التراث اللغوي العربي، طلبا للتجديد وعملا بمبدأ العالمية، فقد ذهبوا إلى أن كثيرا من الظواهر اللغوية ولا سيما النحوية منها متجلية بوضوح فيها، لذلك جاء موضوع بحثنا الموسوم بـ: "الدرس اللغوي العربي في ضوء النظرية التوليدية التحويلية." بحثا في أوجه التشابه والتلاقي بين الفكرين (العربي والغربي)، ومن هنا طُرحت تساؤلات عديدة عن الإسقاطات النظرية والتطبيقية للنحو التوليدي في اللغة العربية، ممثلة في ما يأتي:

- ما هي هذه النظرية؟
- وما هي الأسس التي قامت عليها؟
- وهل فعلا هذه النظرية انبثقت فقط من الدراسات الغربية؟
- وما مدى تجليات التراث اللغوي العربي في هذه النظرية؟

هذه التساؤلات وغيرها حاولنا الإجابة عنها في هذه الورقة البحثية متبعين منهجا يجمع بين المقارنة تارة، وبين الوصف والتحليل تارة أخرى، وذلك بدراسة مبحثين أساسيين، فالمبحث الأول خُصص للحديث عن نظرية تشومسكي من حيث المفهوم والأسس و مراحل التطور وغيرها، في حين خُصص المبحث الثاني للحديث عن مدى تجليات التراث اللغوي العربي في النحو التوليدي التحويلي من خلال إعطاء أمثلة توضيحية، أما الخاتمة فتضمنت أهم النتائج المتوصل إليها في البحث.

2.مدخل إلى النظرية التوليدية التحويلية:

1.2 مفهومها:

يعدّ اللساني الأمريكي أفرام نعوم تشومسكي رائد نظرية النحو التوليدي التحويلي، لما أحدثه من ثورة جوهرية في اللسانيات، حيث أقام نظريته على أصول فلسفية مترسخة في المعرفة الإنسانية منذ القدم، ولعل أهم هذه الأصول نظرية النحو العالمي لـروايال Royal من خلال كتابه: في الكليات النحوية، والفلسفة العقلية لديكارت Desartes ، بالإضافة إلى تأثره بهومبولدت الذي يرى أن اللغة تنتج استعمالات غير محدودة من عناصر محدودة، وأخيرا نحو هاريس الذي أوجد نموذجا بسيطا للجملة سماه: الجمل الجوهرية.[2]

([1]) ينظر: خليل العمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة للنشر، السعودية، ط1، 1984، ص 54.

([2]) ينظر: محمود جاد الرب، علم اللغة نشأته وتطوره، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص 93.

وقد نتج عن تأثر تشومسكي بهذه الأصول الفلسفية أن انطلق من تصورين أساسيين يعدان من المبادئ القارة التي أسس عليها نظريته التوليدية التحويلية هما:

ـ الاكتساب اللغوي: فالطفل لا يتعلم لغته بسبب ما يسمعه أو يتلقاه من محيطه، فينسج على منواله، وإنما يولد وهو مزود بجهاز يمكنه من تعلم اللغة الأم والتكلم بها في وقت قياسي.

ـ الصفة الإبداعية للغة: وتتمثل في قدرة اللغة الخلاقة على تكوين عدد غير متناه من الجمل من منظومة محدودة من العناصر الصوتية.

وبهذا تمكن تشومسكي من التحول بالدراسة اللسانية من خارج بنية اللغة إلى داخلها، محاولة منه إنشاء نظرية شاملة للظاهرة اللغوية بمختلف تنوعاتها اللسانية.

2.2 مراحل تطورها:

مرت النظرية التوليدية التحويلية بمرحلتين اثنتين، يمكن التفصيل فيهما على النحو الآتي[1]:

المرحلة الأولى: اهتمت نظرية النحو التوليدي التحويلي في هذه المرحلة بالجملة وبعدها الشكلي اهتماما بالغا، حيث حاول تشومسكي صياغة ثلاثة أنواع من القواعد، يمكن أن نمثلها في ما يأتي [2]:

أـ القواعد التوليدية: حاول تشومسكي إحصاء جميع الأنماط النحوية التي يمكن أن تصاغ على منوالها الجمل غير المتناهية التي يستخدمها جميع البشر في كل لغات العالم، على اعتبار أنه توجد كليات نحوية مشتركة بينهم، ويتم ذلك انطلاقا من مجموعة محددة من العناصر التي هي أبجدية في كل لغة، وهذه الأنماط هي التي تولد كل الجمل السليمة نحويا ليس إلا.

ب ـ القواعد التحويلية: وهي جملة القواعد التي تُمكن مستعمل اللغة من تحويل الجملة إلى جمل متعددة مختلفة عنها نحويا، من طريق الحذف أو التعويض أو التوسع أو الاختصار، أو الزيادة أو إعادة الترتيب أو التقديم.

ج ـ القواعد الصوتية والصرفية: وتتمثل في إعادة كتابة العناصر كما يتم النطق بها، حيث صاغ تشومسكي جل القواعد في شكل معادلات ذات رموز رياضية متوخيا في ذلك البساطة التي تعني باختصار المعارف في رموز.

أما **المرحلة الثانية** من تطور النظرية فقد ابتعد تشومسكي عن النظرة الشكلية للغة، وأدخل الدلالة في التحليل اللساني، فنتج عن ذلك ظهور مفاهيم جديدة عُدّت فيما بعد من أهم مقومات النحو التوليدي التحويلي، وفيما يلي ذكر لأهم المفاهيم الأساسية التي قامت عليها:

3.2 المفاهيم الأساسية للنظرية:

أـ الكفاية اللغوية والأداء الكلامي: وبعبارة أخرى هو تمييز بين الملكة والأداء، فالملكة يحمل معرفة المتكلم بلغته وهي المقدرة الفكرية الموجودة لديه والتي تمكنه من إنشاء الجمل، والأداء هو الإنجاز الفعلي لهذه المقدرة، فاللغة خاصية ذهنية مرتبطة بالذكاء وليست أمرا

([1]) نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية، طبيعتها وأصولها وتطبيقاتها، ترجمة: محمد قبيج، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1993، ص 275.

([2]) ينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، دط، دت، ص 148،149.

خارجيا، أما الأداء اللغوي فهو الإنجاز الفعلي لهذه الكفاية، أي أنه انعكاس لها وتحققها من طريق السلاسل الصوتية ذات البنية التركيبية.

ويتمثل الهدف من هذا التمييز في تحديد موضوع البحث اللساني، بحيث وجّه تشومسكي العناية في ذلك إلى الجانب الذهني للعملية اللسانية الذي يبحث في التفسير لا في الوصف، لأن الملكة قواعد ضمنية مجردة موجودة في لا وعي المتكلم، بعكس الإنجاز الذي تتحكم فيه العديد من الظروف الخارجة عن المتكلم، فما التمييز بينهما إلا تأكيدا على البعد الذهني للنظرية التوليدية التحويلية وعلى منهجها التفسير التعليلي.

والهدف الأساسي من هذا التمييز هو تحديد موضوع البحث اللساني بحيث وجه تشومسكي العناية في ذلك إلى الجانب الذهني للعملية اللسانية والذي يبحث في التفسير لا في الوصف.

ويقسم تشومسكي مستويات الكفاية اللغوية إلى[1]:

ـ **الكفاية الملاحظية:** وهي النقطة الأولى لاكتشاف الظاهرة اللغوية، وتدخل ضمن العالم التجريبي، إلا أن اللسانيين يختلفون في موضوع الملاحظة، فالسلوكيون مثلا يرون أن الانتباه ينبغي أن يرتكز على العناصر اللغوية القابلة للملاحظة، أما التوليديون فيرون أن المعرفة اللغوية هي الموضوع الأساسي للملاحظة.

ـ **الكفاية الوصفية:** اعتمد أصحاب النظرية التوليدية التحويلية على التأويل، وذلك عندما تكلموا عن التمثيلات المتمايزة داخل الوصف اللساني[2]، بتقديم كل مكوّن تمثيلا للعبارة في مستوى معين، ومن هنا ينجح النظام النحوي في توليد كل الجمل النحوية الممكنة، أما إذا كانت هذه الجمل المولدة صحيحة وأخرى غير صحيحة فهذا دليل على فشله في الكفاية الوصفية.

ـ **الكفاية التفسيرية:** حيث تسعى نظريه النحو التوليدي التحويلي الوصول إلى هذه الكفاية من خلال البحث في الخصائص العامة للغات ومعالجة قضايا اللغة، مثل الاكتساب وتحليل الجمل وعلاج مشاكل اللغة واكتشاف كيفية تفاعل المبادئ والوسائط عن طريق امتلاك هذه اللغات للخواص الاستنباطية والتي يمكن اعتبارها في هذا الوقت تفسيرية، ومن هنا ربط التوليديون الخواص الاستنباطية بالكفاية التفسيرية في اللغات.

ب ـ الجملة الأصولية وغير الأصولية: يرى تشومسكي أن الجمل تكون أصولية إذا كانت موافقة لنحو اللغة وقواعدها، وتكون غير أصولية إذا انحرفت، والسامع/ المتكلم يحكم على ذلك عن طريق حدسه.

إلا أن الجملة قد تكون صحيحة نحويا لكنها غير مقبولة دلاليا، وهذا لا يعني انعدام الصلة بينهما، فالأساس في ذلك أن الجملة الأصولية لا تشترط الدلالة، ولكن التفسير الدلالي يشترط في الجملة أن تكون أصولية، وهذا ما قصدته الباحثة خولة طالب الإبراهيمي بالتفريق بين السلامة والاستحسان. تقول:" ويُفضي بنا هذا إلى الحديث عن مفهومين هامين في النظرية التشوسكية: **الأول** مفهوم السلامة النحوية، شديد الاتصال بالبنية التركيبية حيث إنه يشترط في الجملة أن تكون سليمة من حيث

([1]) محمد يونس علي محمد، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتب الوطنية، بن غازي، ليبيا، دط، 2005، ص 47،48.

([2]) المرجع نفسه، ص 48.

تركيبها النحوي، متماشية وقياس اللغة أما الاستحسان فأن تكون الجملة مقبولة من الناحية الدلالية، أي أن تكون مناسبة لمدلولات اللغة المعنية"[1].

ج ـ البنية السطحية والبنية العميقة: عرّف تشوسكي البنية الأولى بأنها نتاج قواعد النحو التوليدي، وتمثل التركيب اللغوي في شكله الصوتي النهائي كما هو مستعمل في عمليه التواصل، فهي عنده تلك الصورة الظاهرة للجملة والناجمة عن تتابع المورفيمات الصادرة عن المتكلم كما تكلم به، ومن الناحية الدلالية انعكاس للأفكار الكامنة في ذهن المتكلم.

أما البنية الثانية (العميقة) فهي تمثل التفسير الدلالي الذي تنبثق منه البنية السطحية في نطاق سلسلة من الإجراءات التحويلية التي تتحرك داخليا من العمق إلى السطح مع مراعاة القوانين التي تحقق التحول، وهذا ما يعكس أشكال الفكر الإنساني.[2]

د ــ إدخال المكوّن الدلالي في النموذج التوليدي: حيث أصبح النموذج التوليدي التحويلي مكونا مما يلي:

ـ المكون الصوتي: وهو مستوى تفسيري يعمل على مستوى البنية السطحية للتركيب اللغوي.

ـ المكون الدلالي: ويهتم بدراسة القضايا المتعلقة بالبنية العميقة.

– المكون التركيبي: هو المكون التوليدي المكونان الآخران تفسيريان[3].

وما يمكن الإشارة إليه أن النظرية التوليدية التحويلية وإن اهتمت بالجانب الدلالي للغة، إلا أن ذلك بقي في إطار الجملة الواحدة ولم يتعداها إلى وحدة أكبر منها.

هـ ـ الاكتساب اللغوي والإبداعية اللغوية: إن خاصية الاكتساب اللغوي لدى تشوسكي مرتبطة أساسا بالمنهج التوليدي وهو: " دراسة اللغة على أنها نظرية فيزيائية آلية بيولوجية تعمل داخل الدماغ البشري."[4] لذلك وضع هذه النظرية لتكون قادرة على إنشاء جمل لم يسبق أن وجدت، لأن الاكتساب اللغوي حسب رأيه يكون من خلال امتلاك الإنسان قدرة لغوية تشمل قواعد تمكنه من شرح اللغة وتفسيرها.

أما الابداعية اللغوية فيقصد بها مقدرة الإنسان على إنتاج عدد لا متناه من الجمل،" لأن التحليل اللغوي لا ينبغي أن يكون وصفا لما كان قد قاله المتكلمون، وإنما شرح وتحليل للعمليات الذهنية التي من خلالها يمكن للإنسان أن يتكلم بجمل جديدة"[5].

فبعدما كان الإنسان متهما بالتقليد والمحاكاة جاء تشومسكي ليبطل هذا الزعم، ويؤكد أن اللغة من أهم ما يتميز به الإنسان عن غيره فهي وسيلته الأولى والأخيرة للتعبير عن حاجاته و مكبوتاته في شكل تراكيب لا متناهية.

---

(1) خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، دط، 2000، ص 105.

(2) ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 212.

(3) ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، الجملة البسيطة، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط2، 1986، ص 145.

(4) صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، 2002، ص 79.

(5) أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 2007 ، ص 119.

3. عناصر التحويل عند تشومسكي:

التحويل هو جملة القواعد التي تمكن المتكلم من تحويل الجملة الواحدة إلى عدة جمل متباينة عنها في المعنى والدلالة، فينقلها إلى بنيات ظاهرة على سطح الكلام.[1] ويمكن أن نجمل عناصر التحويل على النحو الآتي:

1.3 الترتيب: هو نقل كلمة مع موقع أصلي لها، إلى موقع آخر مغيرا بذلك نمط الجملة وناقلا معناها إلى معنى جديد تربطه بالمعنى الأول رابطة واضحة.[2]

2.3 الزيادة: وتتمثل في إضافة متممات للجملة النواة، وهو ما يُعبر عنه النحاة بالفضلات، ويعبر عنه البلاغيون بالقيد، والهدف من إضافتها هو تحقيق الزيادة في المعنى[3].

3.3 الحذف: حيث يتم حذف عنصر من الجملة لغرض من الأغراض، من غير إحداث خلل في المعنى فنقول مثلا: أكل الولد تفاحة ، عند تحويلها إلى المبني المجهول تصبح: أُكلت التفاحة.

4.3 الاستبدال: كأن تجعل ضميرا محل اسم ظاهر نحو قولنا: قرأت الكتاب، فإذا قُدم المفعول به(الكتاب) نقول: الكتاب قرأته.

5.3 النبر والتنغيم: لهما علاقة مباشرة بالمنطوق من الكلام، لذلك فإن أثرهما التحويلي صوتي وليس نحويا، إذ يتم بالضغط حروف معينة كلمات ما لإيصال معنى يريده المتكلم/ المرسل.[4]

6.3 الحركة الإعرابية: ولها قيمة دلالية كبيرة، إذ من خلالها يتم تحويل الجملة التوليدية من أصل افتراضي كانت عليه للاختيار مثلا إلى جمله تحويلية ذات معنى آخر.

وما يمكن قوله إن نظرية تشومسكي وإن اهتمت بالجانب الدلالي واعتمدت على تفسير، فإن ذلك كله بقي في إطار الجملة ولم يتعداها إلى وحدة أكبر منها، وكان ذلك هو المنفذ الذي أطلّ منه بعض الفلاسفة الذين اهتموا بالكلام والسياق.

فعناصر التحويل السابقة الذكر تؤدي معنى جديدا في الجملة التحويلية، لم يكن يتأتى لولا هذه التغييرات التي طرأت على الجملة الأصل، وبالتالي فإن المعنى الجديد غير متحصَل في الجملة التوليدية.

4. نظرية تشومسكي والدرس اللغوي العربي:

إن مسألة الربط بين الدرس اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديثة من المسائل التي تطرح نفسها في أذهان اللسانيين في العصر الحديث، ولا سيما تجليات النحو التوليدي التحويلي في النحو العربي، لأن اللغة حسبهما ذات أساس عقلي محض ،[5] فتشومسكي يؤكد أن اللغة وحدة من وحدات العقل وأنها ملكة فطرية يولد الإنسان مزودا بها، لذا فهي التي تميزه عن الحيوان على حد قول ديكارت. ويمكن أن نوجز نقاط التلاقي بينهما في ما يأتي:

([1]) محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط،1985، ص81.

) ينظر: خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص 93.[2]

([3]) ينظر: المرجع السابق، ص 96.

([4]) أحمد كاظم العتابي، رؤية في المنهج التوليدي، رؤية في المنهج التوليدي، بحث منشور في مجلة كلية التربية، العدد6، جامعة واسط، ص 47.

([5]) عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1986، ص115.

ـ قضية الأصل والفرع: وهي من أبرز القضايا التي شغلت بال النحويين العرب حينما جعلوا لكل أصل فرعا، فالمصدر عند البصريين مثلا هو الأصل في الاشتقاق على عكس الكوفيين الذين يقولون بأن الفعل هو أصل الاشتقاق، ولكل مذهب منهما الحجج والبراهين المؤكدة لما ذهبوا إليه، كذلك قالوا بأن المعرف فرع في حين أن النكرة أصل، وأن المؤنث فرع و المذكر أصل، وأن الجمع فرع والمفرد أصل، كما قالوا بأن التكبير والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها.[1]

وهذه القضية يقابلها عند تشومسكي البنية السطحية والبنية العميقة، فينظر إلى الأصلية على أنها تركيب باطن، أما الفرعية فهي التركيب السطحي.

1.4 قضية العامل: كثر الحديث عن العامل النحوي لأنه حجر الزاوية في النحو العربي، ولما له أيضا من علاقة بالجانب العقلي، فقد حظيت هذه القضية باهتمام بالغ من اللسانيين المحدثين وعلى رأسهم تشومسكي، الذي رأى بأن ربط العامل أو ما يسمى بالربط العاملي ينطلق من أساسيين اثنين هما: الأثر والمضمر، حيث جعل منهما قاعدة كلية يفترض فيها أن العامل في المقول هو الفعل، والعامل في الفاعل هو ما يسمى: بالصرفة، والتي تتضمن صفات التطابق والزمن والجهة.[2]

2.4 التعليل النحوي: ارتكز النحو العربي على مرتكزين أساسيين هما: السماع والقياس، هذا الأخير القائم على المقيس والمقيس عليه و العلة، وقد خضعت الكثير من الأحكام النحوية للتعليل، ومن ثم وسعت المادة النحوية، وقد قسمت العلل إلى ثلاث: تعليمية وقياسية وجدلية نظرية، وكل ذلك بفضل الاجتهاد العقلي، فمثلا كل ما دلّ على مرض يكون على وزن (فُعال)، وما دل حِرفة يكون على وزن (فعالة)، وفي ذلك توسع واضح لكل المصادر .

3.4 الحذف: وهو "عدول المتكلم عن ذكر عنصر أو أكثر من الكلام اختصارا".[3] ويشترط في تأديته أن تكون في الكلام قرينة دالة على المحذوف، فالحذف له علاقة بالتركيب النحوي والدلالة على المعنى، ويكون على صور شتى: حذف حرف أو اسم أو فعل أو جملة أو قول .....، فمثلا قولنا: من قدِم؟ تكون الإجابة بـ: محمد، فكلمة (محمد) جملة توليدية فعلية حذف فعلها، لأنها تحمل في سياقها معى يحسن السكوت عليه. فصارت فعلية تحويلية لغرض الإيجاز.

5.4 التوسع: كتقديم المفعول به على الفاعل، أو تقديم الفاعل على الفعل، أو تقديم الخبر على المبتدأ وجوبا، وكذا الزيادة اللفظية لغرض التوكيد ويكون ذلك بإعادة المؤكد بلفظه، سواء أكان فعلا أم اسما أم حرفا أم جملة أم مصدرا نائبا عن فعله....، أو يكون عن طريق التوكيد بالحروف الزائدة التي تفيد تقوية المعنى المراد توكيده[4]، وعلامة زيادة هذه الحروف، أن تحذف فلا يحدث تأثير في المعنى من الناحية اللغوية.[5]

([1]) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص43.

([2]) حسام بهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994، ص 31.

([3]) رفيق بن حمودة، الوصفية مفهومها ونظامها في النظريات اللسانية، دار محمد علي للنشر، صفاقس، كلية الآداب، ط1، 2004، ص 647.

([4]) علي مزيان، الأساليب النحوية في ضوء القرآن الكريم، دار أساريا للطباعة والنشر والتوزيع، الزاوية، 2001، ص132.

([5]) العربي الشريف، دروس في البلاغة العربية، دار الشموع والثقافة، الزاوية، 2002، ص 31.

6. معالم التلاقي بين النحو التوليدي التحويلي والتراث اللغوي العربي:

1.6 تشوسكي والجرجاني: إن مفهوم التعليق عند الجرجاني يقترب إلى حد كبير من مفهومه لدى تشومسكي في نظرته للغة باعتبارها نظاما من العلاقات، فقد ورد عنه أن النظم هو تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب بعض[1] فالكلام لا يفيد حتى يضم في تركيب ما، تحكمه علاقات جامعة بين الألفاظ، تكون وفق قواعد النحو ومعانيه، فالنظم ليس إلا أن يوضع الكلام الوضع الذي تمليه قواعد علم النحو، وتعمل على أسسه و مبادئه، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها. فالجرجاني يرى بأنه لا نظم ولا تأليف في الكلام حتى تتعلق أجزاؤه بعضها ببعض، وهو تشابه مع فكره التوليد والتحويل، إذ أن النظم يتوقف على معاني النحو ومن ثمة فإن هناك ارتباط بين النظم والنحو وبين النظم واللفظ والمعنى.

كما يتفق الرجلان في "أن الإنسان لديه المقدرة الفكرية واللغوية التي تمكنه من إنشاء الجمل اللامتناهية وفهمها ـ أتيحت له عن طريق النحوـ ذلك أن معاني النحو عند الجرجاني تقوم على وجوه كثيرة، وليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، وكلها من إبداع صاحب اللغة الذي يتوخى معاني النحو في كل ما ينظمه أو ينثره، وكذلك رأى تشومسكي أن المنهج الرياضي الذي يؤكد ميكانيكية التركيب يمكن من وجود أنماط لا نهائية، فالمسألة ليست مجرد تلاحم بين الكلمات، وإنما يجب أن نضع في الاعتبار دائما العلاقات المعقدة، أ متجاوزة كانت أو غير متجاوزة"[(2)].فالنظم وقواعد النحو عند الجرجاني هما مصطلحان آخران للأداء اللغوي والكفاية اللغوية عند تشومسكي، لذا فإن النحو في الدرسين العربي و الغربي على أهمية كبيرة في إنشاء الجمل بعضها من بعض بعدد لا متناه.

كذلك يقترب الجرجاني في حديثه عن الجملة من مفهوم البنية العميقة والبنية السطحية عند المدرسة التوليدية التحويلية، حين يفصل في قضية تناسق دلالات الكلام وائتلافها بترتيب معانيه في النفس، لتخرج سلِسلة، ذلك أن هذه الألفاظ انعكاس لهذه المعاني لذلك "فالعلاقة بين المعنى الوجداني في النفس وما يعبر عنه بالأصوات علاقة ترجمة أو تحويل لما وقع في الذهن من معاني مترتبة على نظام معين، أو نسق ما وحين نريد فهم العلاقة بين البنى السطحية والبنى العميقة عند التحويليين نجد هذه الصورة نفسها هي المقصودة عندهم، فالتحويليون يرون أن البنى السطحية هي الصورة الظاهرة للجملة والناجمة عن تتابع المورفيمات الصادرة عن المتكلم كما تكلم به، أما البنى العميقة فهي الجملة النواة أو الجملة قبل أن تخضع لقواعد التحويل، وهي التي سمّاها الجرجاني بمعاني النحو التي يراعيها المتكلم."[(3)]

2.6 تشومسكي وابن خلدون: أشار ابن خلدون في معرض حديثه أن اللغة ملكة يكتسبها الإنسان لأنها في المتفق عليه هي تعبير المتكلم عن حاجاته ومقاصده، وذاك التعبير هو فعل لساني لابد له أن يتحول إلى ملكة معرفية قارة وثابتة في العضو الفاعل

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمد عبده ومحمد الشنقيطي، علق عليه: السيد محمود رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2001، ص 15

([2]) عبد المطلب محمد، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط1، 1995، ص 82.

([3]) العبيدي رشيد عبد الرحمن، الألسنية بين عبد القاهر الجرجاني والمحدثين، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، م 19، ع 3، 1989، ص 14.

لها وهو اللسان، وهو في كل قوم وأمة بحسب اصطلاحاتهم، وقد كانت الملكة اللغوية للعرب من ذلك أحسن الملكات وأفصحها وأوضحها إبانة لمقاصد المتكلم. [1] فالملكة اللغوية ليست طبيعية أو فطرية وإنما يلقنها المجتمع للفرد، وهذا ما ذهب إليه كذلك صاحب المقدمة حيث قال: " يظن الكثير من المغفلين من لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم إعرابا وبلاغة أمر طبيعي، يقول كذلك كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهر في بادئ الأمر أنها جبلة وطبع."[2] فالملكة اللسانية هي السليقة التي يرى تشومسكي أن متكلم اللغة يمتلكها منذ بدء خلقه، وهو يكتسبها من والديه ومحيطه فيكتسب المعرفة باللغة من خلال تعرض تلقائي ومن دون أن يتدرج عبر تمارين متخصصة فيستطيع من ثم ومن دون القيام بأي مجهود يذكر استعمال بنى معقدة وقواعد موجهة للتعبير عن أفكاره[3].

فتشومسكي يتجه مع ابن خلدون في أن اللغة تكتسب، وذلك عندما أشار بأن الطفل يولد دون لغة محددة بعينها، وسميت هذه الحالة بالحالة الصفرية الأولى، لكن الطفل يمتلك نحوا كونيا أو كليا يساعده على تعلم أي لغة يتعرض لها، بعد ذلك ينتقل الطفل وهو يكبر ومن خلال سلسله من المراحل المتتابعة إلى مرحلة الاستقرار[4].

وبناء على ما تقدم ذكره يمكن أن نوجز نقاط الاتفاق بينهما في ما يأتي:

ـ الملكة اللسانية هي جملة القواعد الموجودة في ذهن المتكلم، وقد أطلق عليها اسم: الصناعة كناية عن علم النحو.

ـ الملكة اللسانية تتجلى في الفعل اللساني وهو بمثابة الإنجاز الفعلي لها، وهو ما يقابل الأداء اللغوي عند تشومسكي.

ـ إن الذوق من أهم دعائم الملكة فمن خلاله يتمكن المتكلم من تحري الهيئة المفيدة لكلامه نظما ودلالة، كما يتمكن من تمييز التراكيب التي لا تجري على منحى أساليب لغته، فالذوق عن ابن خلدون هو بمثابة الحدس اللغوي عند تشومسكي.

3.6 تشومسكي وسيبويه: إن المتصفح لكتب التراث اللغوي العربي، ولا سيما كتاب سيبويه يجده قد وظف مصطلحات النظرية التوليدية التحويلية من دون أن يذكر ذات المصطلحات التي عرفناها في العصر الحديث مع تشومسكي، ومن أمثلة ذلك نذكر:

ـ تعرض تشومسكي لدراسة القدرة والكفاية اللغوية، وهو ما اهتم به سيبويه في كتابه حين قال:" وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجها."[5]

ـ كما أن الحذف كمصطلح ورد عند سيبويه في مواضع متعددة من مصنفاته ولاسيما في الكتاب، ولا نبالغ إن قلنا بأنه درسه أكثر من تشومسكي، فحين تحدث عن حذف الحركة في كلام العرب إذا أرادوا استخفافا قال بأنهم يحذفون التنوين دون أن يُحدث ذلك خللا في المعنى العام. [6] فهو بهذا التوجه يوافق رأي تشومسكي، لأن من مبادئ التحويل في المدرسة التوليدية التحويلية الحذف الذي لا يؤثر على المعنى أو الدلالة العامة للجمل والتراكيب..

([1]) ينظر: ابن خلدون، المقدمة، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط5، 1982، ص 546.

([2]) المرجع نفسه، ص 548.

([3]) ينظر: العبيدي رشيد عبد الرحمن، الألسنية بين عبد القاهر الجرجاني والمحدثين، مرجع سابق، ص 18.

([4]) محمد العيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1979، ص 136.

([5]) سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 2009 ،ص 414.

([6]) المرجع نفسه، ج1 ص 165.

فالحذف ظاهرة لا بد منها في جميع اللغات الإنسانية، فالمتكلم يميل إلى حذف العناصر المكررة التي لا طائل منها، ويمكن للمتلقي أن فهمها من السياق.

ـ تحدث سيبويه أيضا عن الزيادة في الحروف والكلمات، ومن ذلك قوله:" ويجرى ذلك الاسم مجرى الواحد الذي لحقته الزيادة للجمع كما لحقته الزيادة للتثنية."[1] ، وقوله أيضا:" هذا باب ما تلحقه الزيادة في الاستفهام."[2] ، وقوله:" هذا باب يكون فيه الحرف الذي من نفس الاسم وما قبله بمنزلة زائد وقع وما قبله جميعا."[3] ، فسيبويه اهتم بالزيادة التي تؤثر في المعنى والتي لا تؤثر فيه، في حين نجد التحويليين الغربيين يشيرون إلى أن هناك تراكيب لغوية تدخل فيها كلمات لا تدل على معنى عميق، وإنما تفيد وظيفة تركيبية، وقد تعد لونا من ألوان الزخرف اللفظي.

ـ يربط سيبويه صحة المعنى بصحة الجملة أو التركيب، فالجملة عنده لا بد أن تكون صحيحة دلاليا ونحويا ولا يجوز الفصل في ذلك. وهذا ما أقره تشومسكي حين قال أن الكلام قد يكون مستقيما في التركيب خاطئا في المعنى، وهو أمر غير جائز، وفكرته هذه ما هي إلا صدى لما ورد عند سيبويه، والاختلاف كان فقط على مستوى المصطلحات.

ـ ويرى كثير من اللغويين أن البنية العميقة والبينية السطحية في النحو العربي يقابلها في الدرس اللساني الحديث ظاهرة التقدير والتأويل للمعنى، كما أن السلامة النحوية والقبول الدلالي نسخة من الصحة والاستحسان عند سيبويه[4]. كذلك التراكيب المتكافئة ما هي إلا نسخة من القياس النحوي.

وخلاصة القول أن القواعد التحويلية هي قواعد مكملة للقواعد التقليدية، وإذا " كان النحو صناعة علمية يعرف بها أصول أحوال كلام العرب من جهة ما يصح، وما يفسد في التأليف ليعرف الصحيح من الفاسد."[5] فالمدرسة التوليدية التحويلية تتعامل مع الكلام الإنساني لتصل إلى الهدف نفسه.

7. خاتمة:

مما تقدم ذكره من قول يمكن أن نستخلص النتائج الآتية:

ـ أسهم التراث اللغوي العربي بشكل أو بآخر في تحديد معالم البحث اللساني الحديث، حيث وضع علماؤنا أصولا وأسسا تشبه إلى حد كبير ما أتى به اللسانيون المحدثون.

ـ أثبتت الدراسة أن النظرية التوليدية ما هي إلا صدى لما قاله سيبويه في كتابه، وابن خلدون في مقدمته والجرجاني في دلائله.

ـ تتكون الملكة اللغوية عند تشومسكي من قواعد كلية، بينما تتكون الملكة اللغوية عند ابن خلدون من قواعد خاصة باللغة الأم، وعلى هذا الأساس يرى ابن خلدون أن معرفة المتكلم بقواعد لغته لا تعني بالضرورة تحصيله للملكة اللسانية.

([1]) المرجع نفسه، ج1 ص 206.

([2]) المرجع نفسه، ج1 ص 419.

([3]) المرجع نفسه، ج2 ص 259.

([4]) المرجع السابق، ج1 ص 29.

([5]) السيوطي، الاقتراح، دار حيدر أباد الركن، ط1، 1989 ، ص 31.

ـ تهدف نظرية تشومسكي إلى أن القواعد الكامنة في العقل الإنساني هي التي وراء تكوين الجمل في سائر اللغات الطبيعية، فالجانب العقلاني هو الأساس في دراسة اللغة، فتكون بذلك قد خالفت المدرسة التركيبية التي وصفت اللغة بأنها ظاهرة سلوكية.

8. قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 2007 .
2. أحمد كاظم العتابي، رؤية في المنهج التوليدي، بحث منشور في مجلة كلية التربية، العدد6، جامعة واسط.العراق، 2020.
3. حسام بهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994.
4. ابن خلدون، المقدمة، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط5، 1982.
5. خليل العمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة للنشر، السعودية، ط1، 1984.
6. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، دط، 2000.
7. رفيق بن حمودة، الوصفية مفهومها ونظامها في النظريات اللسانية، دار محمد علي للنشر، صفاقس، كلية الآداب، ط1، 2004.
8. سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 2009.
9. السيوطي، الاقتراح، دار حيدر أباد الركن، الهند، ط1، 1989.
10. صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، 2002.
11. عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. 1986.
12. العبيدي رشيد عبد الرحمن، الألسنية بين عبد القاهر الجرجاني والمحدثين، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، م 19، ع 3، 1989.
13. العربي الشريف، دروس في البلاغة العربية، دار الشموع والثقافة، ليبيا، 2002.
14. علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.
15. علي مزيان، الأساليب النحوية في ضوء القرآن الكريم، دار أساريا للطباعة والنشر والتوزيع، ليبيا، 2001.
16. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمد عبده ومحمد الشنقيطي، علق عليه: السيد محمود رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2001.
17. محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط،1985.
18. محمد العيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1979.
19. محمد يونس علي محمد، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتب الوطنية، بن غازي، ليبيا، دط، 2005.
20. محمود جاد الرب، علم اللغة نشأته وتطوره، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1985.
21. عبد المطلب محمد، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط1، 1995.
22. ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، الجملة البسيطة، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط2، 1986.
23. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، دط، 2004.
24. نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية، طبيعتها وأصولها وتطبيقاتها، ترجمة: محمد قبيج، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1993.

References :

1. Aḥmad Ḥassānī, Mabāḥith fī al-lisānīyāt, Dīwān al-Maṭbū‘āt al-Jāmi‘īyah, al-Jazā’ir, Ṭ1, 2007.
2. Aḥmad Kāẓim al-‘Itābī, ru’yah fī al-manhaj al-tawlīdī, baḥth manshūr fī Majallat Kullīyat al-Tarbiyah, al‘dd6, Jāmi‘at Wāsiṭ. al-‘Irāq, 2020.
3. Ḥusām Bahnasāwī, Ahammīyat al-rabṭ bayna al-tafkīr al-lughawī wa-naẓarīyāt al-Baḥth al-lughawī al-ḥadīth, Maktabat al-Thaqāfah al-dīnīyah, al-Qāhirah, 1994.

4. Ibn Khaldūn, al-muqaddimah, Dār al-Rā’id al-‘Arabī, Bayrūt, Lubnān, ṭ5, 1982.
5. Khalīl al-‘Amāyirah, fī Naḥwa al-lughah wtrākybhā, ‘Ālam al-Ma‘rifah lil-Nashr, al-Sa‘ūdīyah, Ṭ1, 1984.
6. Khawlah Ṭālib al-Ibrāhīmī, Mabādi’ fī al-lisānīyāt, Dār al-Qaṣabah lil-Nashr, al-Jazā’ir, dṭ, 2000.
7. Rafīq ibn Ḥammūdah, al-waṣfīyah mafhūmuhā wa-niẓāmuhā fī al-naẓarīyāt al-lisānīyah, Dār Muḥammad ‘Alī lil-Nashr, Ṣafāqis, Kullīyat al-Ādāb, Ṭ1, 2004.
8. Sībawayh, al-Kitāb, taḥqīq : ‘Abd al-Salām Hārūn, al-Maktabah al-‘Aṣrīyah, Bayrūt, Lubnān, dṭ, 2009.
9. al-Suyūṭī, al-Iqtirāḥ, Dār Ḥaydar Abād al-Rukn, al-Hind, Ṭ1, 1989.
10. Ṣāliḥ Bal‘īd, Naẓarīyat al-nuẓum, Dār Hūmah, Būzuray‘ah, al-Jazā’ir, 2002.
12. al-‘Ubaydī Rashīd ‘Abd al-Raḥmān, al-alsunīyah bayna ‘Abd al-Qāhir al-Jurjānī wa-al-muḥaddithīn, Wizārat al-Thaqāfah wa-al-I‘lām, Baghdād, al-‘Irāq, M 19, ‘A 3, 1989.
13. al-‘Arabī al-Sharīf, Durūs fī al-balāghah al-‘Arabīyah, Dār al-shumū‘ wa-al-Thaqāfah, Lībiyā, 2002.
14. ‘Alī Zuwayn, Manhaj al-Baḥth al-lughawī bayna al-Turāth wa-‘ilm al-lughah al-ḥadīth, Dār al-Shu’ūn al-Thaqāfīyah al-‘Āmmah, Baghdād, 1986.
15. ‘Alī Mizyān, al-asālīb al-naḥwīyah fī ḍaw’ al-Qur’ān al-Karīm, Dār asāryā lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, Lībiyā, 2001.
16. ‘Abd al-Qāhir al-Jurjānī, Dalā’il al-i‘jāz fī ‘ilm al-ma‘ānī, taḥqīq : Muḥammad ‘Abduh wa-Muḥammad al-Shinqīṭī, ‘allaqa ‘alayhi : al-Sayyid Maḥmūd Rashīd Riḍā, Dār al-Ma‘rifah, Bayrūt, Lubnān, ṭ3, 2001.
17. Muḥammad al-Ṣaghīr Bannānī, al-Madāris al-lisānīyah fī al-Turāth al-‘Arabī, Dīwān al-Maṭbū‘āt al-Jāmi‘īyah, al-Jazā’ir, D Ṭ, 1985.
18. Muḥammad al-‘Īd, al-Malikah al-lisānīyah fī naẓar Ibn Khaldūn, ‘Ālam al-Kutub, al-Qāhirah, Miṣr, 1979.
19. Muḥammad Yūnus ‘Alī Muḥammad, madkhal ilá al-lisānīyāt, Dār al-Kutub al-Waṭanīyah, ibn Ghāzī, Lībiyā, dṭ, 2005.
20. Maḥmūd Jād al-Rabb, ‘ilm al-lughah nash’atuhu wa-taṭawwuruh, Dār al-Ma‘ārif, Bayrūt, Lubnān, Ṭ1, 1985.
21. ‘Abd al-Muṭṭalib Muḥammad, Qaḍāyā al-ḥadāthah ‘inda ‘Abd al-Qāhir al-Jurjānī, Maktabat Lubnān, Nāshirūn, al-Sharikah al-Miṣrīyah al-‘Ālamīyah lil-Nashr, Lūnjmān, Miṣr, Ṭ1, 1995.
22. Mīshāl Zakarīyā, al-alsunīyah al-tawlīdīyah al-taḥwīlīyah wa-qawā‘id al-lughah al-‘Arabīyah, al-jumlah al-basīṭah, al-Mu’assasah al-Jāmi‘īyah lil-Dirāsāt, Bayrūt, ṭ2, 1986.
23. Nu‘mān Būqirrah, al-Madāris al-lisānīyah al-mu‘āṣirah, Maktabat al-Ādāb, al-Qāhirah, Miṣr, dṭ, 2004.
24. Na‘‘ūm tshwmsky, al-Ma‘rifah al-lughawīyah, ṭabī‘atuhā wa-uṣūluhā wa-taṭbīqātuhā, tarjamat : Muḥammad qbyj, Dār al-Fikr al-‘Arabī, Miṣr, Ṭ1, 1993.